شهر رمضان أصبح غريبا بين الأمة الإسلامية في العالم الراهن !!

عطاء الرحمن الندوي

إن الأمة الإسلامية الراهنة في أمس الحاجة إليك يا شهر رمضان المبارك ، وحاجة العالم الإسلامي والعالم العربي بل العالم كله إليك للغاية التي فرضك الله تبارك وتعالى على المسلمين في كافة أنحاء الأرض المعمورة ، كما أشار القرآن الكريم إلى حقيقتك وغايتك يا رمضان المبارك ، حيث قال جل شأنه مخاطبا المسلمين المؤمنين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهوا خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ومما لا شك فيه إن حاجة الأمة الإسلامية الراهنة إليك يا رمضان أشد وأعظم من حاجة آباءنا الأولين السابقين ، لأنهم كانوا يطبقون دروسك وعبرك وحقيقتك على حياتهم الكاملة وكانوا يصبغون حياتهم بلونك اللامع وبنورك الساطع ، وهذه فرصة ذهبية لصبغة الحياة بصبغة الله تبارك وتعالى ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ ويبذلون السعى الكامل لنيل التقوى ومرضاة ربك ، لأن التقوى من أهم دروسك وعبرك ، ولأجل ذلك كانت هذه الآية المذكورة مؤثرة على حياتهم ، وحدثت تغييرات كثيرة في بيئتهم ومجتمعهم وفي أسرهم وعشيرتهم بقدومك يا رمضان العظيم ، وإنهم يستعدون لإستقبالك ويفرحون بقدومك فرحا عظيما ويرحبون بك ترحيبا حارا بالأعمال الصالحة وقيام الليل ، وما كان شيء في حياتهم أجمل وأعظم من قدومك يا رمضان المبارك ، وإنك قوة في حياتهم بغير سلاح ، ونعيم أرواحهم ونفوسهم ، وقرة عيونهم ، وبهجة نفوسهم ، ونعمة عظيمة على حياتهم ، حتى تفرح أرواحهم بقدومك ، لأنك تمهد لهم السبيل إلى نيل رحمة ربك الذي أعلن ليلة فيك ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح * فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ لأنهم كانوا يعرفون دروسك حق المعرفة ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال لما حضر رمضان : (قد جاءكم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم) .

وقد أهل هذا الشهر الكريم على المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها بجماله وجلاله وبجميع حسناته وخيراته كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن خيراته ، عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه)) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إذا جاء رمضان ، فتّحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار ، وصفّدت الشياطين) وعنه ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : (من صام رمضان إيمانا وإحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه) ولأجل ذلك أهل هذا الشهر في وقت حيث أن الأمة الإسلامية في أمس حاجتها إليه ، وقدم في وقت يحتاج إليه كل كبير وصغير من الرجال إلى النساء ومن العالم إلى الجاهل من أبنائها لبناء سيرته في ضوء نوره ودروسه من جديد ، وإن التاريخ يشهد لنا بأن هذا الشهر كان شهر البطولات والفتوحات ، وشهر العبادة والإنابة إلى الله تبارك وتعالى في المنصرم ، وشهر الخير والبركات ، وشهر الجود والصدقات وتجديد الذكريات ، وصفاء القلوب والنفوس ، وغسل الآثام والخطايا والذنوب ، وله في نفوس المؤمنين بهجة وفي قلوب المخلصين المتعبدين فرحة ، أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، وكان من الواجب على أهله استشعار هذه النعمة ، واغتنام هذه الفرصة ، وإذا فاتت هذه الفرصة تكون حسرة وندامة وخسارة جسيمة في حياة الأمة ، حتى قال الرسول الأمي الأمين ﷺ (من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين) ولكن الآن مع هذا التهديد أصبح شهرا غريبا بين الأمة الإسلامية كأنه شهر غريب وأجنبي لا علاقة بينه وبين أهله ، حيث كان هذا الشهر شهر التدريب على قوة الشهوات وضبط النفس ، حتى يكون أهله قادرين على الوقوف أمام شياطين الجن والإنس ، و غارقين في العبادة والإنابة إلى خالق الكون ليل نهار ، والسمع والطاعة ، والتمسك عن الشهوة أوقات طويلة معينة في النهار ، وهكذا علم الرسول ﷺ أمته ، وصدق الله العظيم حيث قال لرسوله الأمي الأمين ﷺ ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ ويغتنمون فرصة سانحة لتبدل الحياة غير الحياة ، ويقضون الأيام بالكف عن بعض الحلال في هذا الشهر المبارك، ويجتنبون كل ما حرم الله تبارك وتعالى على المسلمين ، ولكن هذا الشهر فقد روحه بين أهله في هذا العصر الراهن حيث أن الدول الإسلامية والعربية لا تهتم بشأنه وقدومه ، وبدروسه وأغراضه ، فلا يكون أي تغيير في برامجها اليومية وأعمالها وقضاء حياتها حكومة وشعبا ، وإن المسلمين اليوم يسهرون الليالي أمام الإنترنت والديش والتلفاز الذي سخر شتى ألوان الفساد والإنحطاط الخلقي بإسم التقدم والتحضر حيث أن سلعته الرئيسة المرأة العارية ، وإن القنوات الفضائيات قطعت على نفسها عهدا لتحطيم أثر الصيام في مجتمع المسلمين ولأجل ذلك أنهم يتمتعون بالأفلام الخبيثة والأغنية المثيرة ورؤية أجسام الفنانة العروانية بدلا من العبادة وتلاوة القرآن الكريم ، وهذه البرامج الإعلامية كلها تحارب روح هذا الشهر العظيم مع أن هذا

الشهر شهر القرآن حيث قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ حيث كان من الواجب على الأمة الإسلامية أن تتمنى بلوغ هذا الشهر كما كان يتمنى نبيها ﷺ ، وكان يقول في دعائه ﷺ : (أللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) وكذلك كان يقوله لأصحابه : (أتاكم رمضان سيد الشهور ، فمرحبا وأهلا) .

وكان من روح هذا الشهر المبارك أن يجعل أهله متقين ، ولأجل ذلك قد سجل القرآن الكريم دعوة هذا الشهر وأغراضه بلسانه الخالد ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وهذه الآية القرآنية تدل على أن هذا الشهر الكريم لا يأتي بين المسلمين إلا للتقوى ، والتدريب على الترك ما يشتهون ، والصبر على هجر الرغبات والمشتهيات ، والإستعلاء على الرغبات ، وإذا وُجدت هذه الدروس و التقوى بين أهله فلا يرتكب أحد منهم ما نهى الله ورسوله ﷺ سواءٌ في هذا الشهر الكريم أو خارجه ، وفي رابعة النهار أو في ظلمات الليل ، بل أنه يخاف الله تبارك وتعالى في كل أمر من الأمور الفردية والجماعية ، ويؤدون دوره بكل دقة وأمانة ، ويُرى فيه نور هذه الآية ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ ولأجل ذلك ينطق هؤلاء المتقون بالتهنية والسرور والبهجة والفرحة بقدوم هذا الشهر الكريم، ومع ذلك كله قد اخفقت صور كثيرة من صوره ، منها تلاوة القرآن الكريم ، والإستماع إلى الموعظة الحسنة، ودروس القرآن الكريم ، ومطالعة الحديث النبوي الشريف ، وقراءة سير الأنبياء والرسل ، وتبليغ الدعوة والإرشاد ، وتوطيد العلاقة بين الأقارب ، وعيادة المريض ، وزيارة الجيران ، وإظهار المواساة والمساواة بين الناس ، وقيام الليل ، وإطعام المساكين ، وإفطار الصائمين ، وتوزيع الملابس بين المحتاجين المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها ، بل نرى أهله اليوم من مشارق الأرض ومغاربها - هذه الحقيقة المرة إذا صح التعبير - محزونين وبخلاء إلا من هدى الله ، مع أن الدنيا كلها مسرورة بقدومه الميمون كأنها تطير فرحة وبهجة وتهتز غصون الأشجار طربا ، ولكن البسمات التي تظهر في وجوههم كأنها تخفي وراءها شيئا لا يستطيعون أن يظهروا باللسان أوفي المجتمع ، مع أن المسلمين الأولين كانوا ينتظرون لهذا الشهر بفارغ الصبر والإشتياق العظيم ، وإن هذا الجو الإيماني يغير في الدنيا تغييرا كبيرا حيث كانت تبتسم الأشجار والأبحار والجبال والصحرآء بقدوم هذا الشهر الكريم وتعتبر وجودها في العالم أسعد الوجود ، ولكن الآن في العالم الراهن والعصر الحاضر فإننا نرى مجتمع المسلمين وأبناءهم كأنهم بدؤوا يتنفسون في الكنيبة والحزينة ، فكلما يأتي هذا الشهر المبارك فإنهم يكبون على الأطعمة اللذيذة ، وصنع الملابس الفاخرة ، كأنهم ينتظرون لهذا العمل من بداية السنة ، ويصومون فقط لكي يشبعوا في الإفطار والسحور ، ولأجل ذلك يسرفون الأموال الهائلة في الأكل والشرب ليس له حدود ولا قيود ، ويقضون النهار في النوم ، والليل بملء البطون بالأطعمة الشهية التي لا تكون على مدار السنة في بيوت الأغنياء والأثرياء فضلا عن المساكين والفقرآء ، مع أن المسلمين الصائمين يموتون جياعا في العالم الراهن فلا يجدون رشفة ماء وكسرة خبز تكسر الجوع الذي يذهب بهم إلى الموت في غياب عيون الأمة !! .

وكذلك فإن الصائمين الحقيقيين يواجهون صعوبات وشدائد في هذا الشهر حيث أن التجار وأكثرهم من المسلمين بدؤوا يحتكرون البضائع اللازمة من بداية شعبان ، فلا يحتكرونها إكراما وإحتراما لرمضان المبارك وتسهيلا على الصائمين المسلمين الفقرآء ، بل أنهم يحتكرونها لبيعها بسعر مرتفع خلال رمضان ، حتى بدأت الأسعار ترتفع وترفع يوما فيوما في الأسواق والحوانيت ، وهكذا أصبح هذا الشهر العظيم وشهر المغفرة والرحمة غريبا بين الأمة الإسلامية ، ويحول هذا الشهر من العمل الصالح ونيل المغفرة من ربه إلى شهر الأكل وملء البطون وإلى ارتكاب الجرائم بإحتكار البضائع اللازمة في حياة الأمة الصائمة .

وما وقفت أحوال الأمة الإسلامية على هذا الحد وعلى هذه الأحوال المحزنة بل تأتي الطامة الكبرى ما يحدث في الليل في بيوتها وبين شبابها فإنهم يسهرون الليالي بمشاهدة الراقصات على شاشة التلفزيون إلى السحور ، ويتمتعون كل التمتع بأجسامهن الجذابة ، وبعد السحور يذهبون إلى وقورهم وينامون فيها نوما عميقا ، فتفوتهم الصلاوات لأنهم في سبات عميق طول النهار حتى المغرب ، ولما قرب وقت الإفطار فيستيقظون ويأتون إلى المائدة المليئة بالأطعمة الملونة فتملأ بطونهم أكثر من أي يوم آخر وفي أي شهر آخر وفي أي مأدبة كبيرة وضيافة فاخرة ، كأنهم يعتبرون هذا الشهر شهر مشاهدة الأفلام العريانية التي تهيج الشهوات بين البنين والبنات بدلا عن الضبط ، وقراءة الروايات الفحشاء ، وسمع الحكايات الكاذبة ، وبيان الأساطير الموضوعة ، فيحلو فيه سهر الليالي وجلوس النهار ، ويقل فيه العمل ، ويكثر فيه النوم ، ومع ذلك كله فإن كثيرا من أهل هذا الشهر المبارك من الدول العربية خاصة يعتمدون على السفر إلى الدول الغربية والسكن في الفنادق أحرارا هاربين من الصيام وخاجلين من الأكل والشرب أمام الناس في الدول المسلمة وفي مجتمع المسلمين، وكأنهم يقولون بلسان حالهم :

إنما الدنيا طعام / وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا / فعلى الدنيا سلام

وإن القرآن الكريم وصفهم بلسانه الخالد ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ .

وهذا قليل من الكثير من واقع الأمة الإسلامية الراهنة التي نراها من

البقية على ص - ١١

المسجد الأقصى يمكنها جمع المسلمين مع إختلاف مذاهبهم وحركاتهم وأحزابهم.

الضرورة والفائدة

لقد أثبتت محادثات - وبالأصح مؤامرات - كامب ديفيد ضرورة حركة كهذه وفائدتها ، أنظر كيف هدد الرئيس كلينتون الذي اشتط غضبا من فشل كامب ديفيد أنه سينقل سفارة أميركا إلى القدس، وماذا كان ينبغي أن تكون ردود فعل المسلمين تجاه ذلك التهديد ؟ أقل شيء : مظاهرات إحتجاج أمام السفارات الأمريكية في أنحاء العالم ، ولكن تهديده - للأسف - لم يحرك ساكنا . لو تحرك المسلمون في جميع أنحاء العالم لأدرك كلينتون أن القدس قضية المسلمين قاطبة، وليس قضية بين عرفات وباراك ، أو قضية السلطة الفلسطينية وإسرائيل ، كان ينبغي أن تصل إلى واشنطن رسالة قوية وحازمة أن المسلمين في أنحاء العالم - ليس الفلسطينيين فقط - لن يتخلوا عن القدس والمسجد الأقصى ولو وقع ألف عرفات على عهد استسلام لإسرائيل ، وأنهم سيستعيدونها مهما طال الزمن ومهما كلف الثمن ، لو بلغت تلك الرسالة للرئيس كلينتون لم يكن ليهدد بشيء قبل أن يحسب ألف حساب . لكن لا يمكن تبليغ رسالة كهذه إلى واشنطن إلا من خلال حركة تحرير شعبية إسلامية عالمية ، هذه اللغة - لغة التنظيم والإعلام والإستنكار - هي اللغة التي تفهمها أمريكا ، ما لم تكن هناك قوة تردعها عن غطرستها ، هذه هي اللغة التي أكثر ما يستخدمها الصهاينة كأمضي سلاح لتحقيق أغراضهم التوسعية والعدوانية ، هم يستغلون كل وسيلة لتشكيل الرأي العام العالمي لصالحهم ، وما صنعوا بـ والت ديزني ليس ببعيد ، فأين المسلمون من كل هذا ؟ .

توعية الشعوب الإسلامية

كخطوة أولى يجب أن تتم حملة توعية شاملة تهدف إلى إيقاظ المسلمين في جميع أنحاء العالم توضح أهمية القدس والمسجد الأقصى وأن حفاظهما واجبهم الشرعي وأن ضياعهما يهدد مستقبل الأمة بأسرها . على المسلمين أن يفهموا أن أمريكا وإسرائيل ليست قوى لا تقهر وأن القوة العالمية - أيا كانت - لا تبقى قوة إلى الأبد ، وما آلت إليه روسيا ليس ببعيد . على المسلمين أن يعوا - وعيا تاما - أن حالتهم المحزنة اليوم ليست حالة جامدة لا تتغير أبدا ، وأن التغيير ممكن ، وإن سقوط الأمم والشعوب ورفعتها وهوانها وعزتها يتم وفق سنن الخالق سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ وعلى المسلمين أو يعوا أن التاريخ كرات كرة لهذه الأمة وأخرى لتلك الأمة ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ . وحينما ترسخ هذه المعاني في قلب الأمة ستنهض دفاعا عن مقدساتها ، وحين يعم الوعي بأهمية القدس والمسجد الأقصى في نفوس المسلمين ، وسيندفعون دفاعا عنها ، وحينئذ - حينئذ فقط - تدرك أمريكا وإسرائيل خطورة الوضع وتحجمان عن غطرستهما وإنتهاكهما حرمات الأمة الإسلامية .

صندوق شعبي إسلامي

إن دعوة الأستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة لإنشاء صندوق شعبي إسلامي لإنقاذ المقدسات الإسلامية في فلسطين دعوة يجب على المسلمين الإستجابة لها ، وقد قال : إن إنشاء هذا الصندوق سيكون أبلغ رد للإنتهاكات الإسرائيلية اليومية على حرمة المقدسات الإسلامية ، وعسى أن يكون إنشاء الصندوق مقدمة لتأسيس حركة شعبية عالمية . والله ولي التوفيق .

بقية المنشور على ص - ٩

هنا إلى هناك ، وفي هذه البيئة إلى تلك البيئة ، ومن هذه الدولة القريبة إلى تلك الدولة البعيدة ، فذكرتها بمناسبة حلول هذا الشهر العظيم عسى أن تكون الأمة الإسلامية مطلعة على فعلة أبنائها وشبابها ، وتستيقظ من غفلتها وسباتها ، حتى تكون مستعدة لهداية أبنائها برحمة هذا الشهر الكريم ، وتنال نعمها وبركاتها حظا وافرا ما كانت دافعة ثمنها ، كما جاء في الحديث (عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء ، وذلك في كل ليلة) وفي حديث آخر (عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له) كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب عوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ وما ذكرت أحوال الأمة الإسلامية في هذا الموضوع إلا لمعرفة المأساة الإسلامية التي تواجهها على صعيد العالم العربي إلى العالم الإسلامي ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ وأن يكون هذا الشهر العظيم بينها تجديد عهدها مع الله تبارك وتعالى ، ومن أجل راية الإسلام العظيم خفاقة في السماء ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون هذا الشهر شهر المحاسبة والمراجعة ، وشهر التوبة الخالصة بالنية الصادقة والإيمان الكامل والعقيدة الصحيحة ، حتى تلقيناه بقلوب ملؤها العزم المتطلع إلى تقوى الله تبارك وتعالى وهي الثمرة المروجة ﴿ لعلكم تتقون ﴾ و ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ وكما جاء في القرآن الكريم عن التوبة الخالصة ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ . تعال أيها المسلم المؤمن نؤمن ساعة في ظلال هذه الرحمة والمغفرة ، واجلس بنا في المدرسة الرمضانية نؤمن ساعة ، ونستظل في رحابه نحاسب حياتنا ساعة، ونخلو إلى رب هذا الشهر الكريم ساعة عسى الله أن يجعلنا من المؤمنين الفائزين كما وعد ﴿ أدعوني أستجب لكم ﴾ وإلا ﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ وإلى اللقاء على الدرب إن شاء الله .